الكناية عن المجازاة بأسماء الله الحسنى
في فواصل الآيات - نموذج للتربية القرآنية

د. رباب صالح جمال
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية اللغة العربية / قسم البلاغة والنقد

تمهيد:

لما كانت الكناية (لفظ اريد به لازم معناه)[1] فالمراد بالكناية عن المجازاة – حسب ما يتصل بالبحث - ذكر اسم من اسماء الله الحسنى الدالة على علمه تعالى بأحوال عباده بأطنهم وظاهرهم، مثل اسماء العليم والخبير والبصير ونحوها من الأسماء وإرادة لازم معناه من الجزاء عليها . وقد يكون الاسم دالاً على الكناية عن المجازاة او تسبيحاً لله تعالى، او تعليلا للجزاء بعد ذكره والذي يحدد ذلك هو السياق الذي جاء فيه.

و سيتحدث هذا البحث عن القسم الخاص بالكناية عن المجازاة فقط . وتعود اهمية هذا النوع البلاغي إلى كونه منهجاً ربانياً سامياً في بناء شخصية الإنسان عامةً، والمسلم خاصةً بتربية رقابة ذاتية داخله حين يدرك علم الله المحاسب بما ياتيه من افعال وما يضمره من نيات، فيتخذ قراره وموقفه على حسب ما يحب ان يؤتى إليه .كما تتضح في هذا الأسلوب إحدى خصائص الإعجاز البلاغي في القرآن حين تشير بعض الأسماء في الوقت ذاته إلى الوعد والوعيد، فيكون بلسماً لقلوب المحسنين وتخويفاً لقلوب المسيئين .

وهي تذكر بما أورده الخطابي من مزج الأسلوب القرآني بين الفخامة والعذوبة وهما كالضدين لا يجتمعان حين قال " فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القران "[2] .

و للإشارة إلى إفادة اسماء الله الحسنى الدالة على العلم على المجازاة اختلفت طرق المفسرين، فصرح بعضهم باسم الكناية عن الجزاء، واشار بعضهم إلى الكناية دون ذكر اسمها بذكر العلاقة بين اللفظ

---

[1] عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج ٣ ص ١٥٦

[2] حمد بن محمد الخطابي : بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢٦

ولازمه، وذهب الأكثرون إلى ذكر دلالة هذه الأسماء على الجزاء دون الإشارة إلى اسم الكناية، ولا علاقة للاسم بلازمه، ولكن يمكن قياسه عليهما وإدخالها ضمن نماذج الكناية عن الجزاء وعلى هذا سيكون ترتيب البحث كالتالي :

الفصل الأول : آيات دلالة أسماء الله الحسنى على الجزاء

المبحث الأول: الكناية عن المجازاة

المبحث الثاني: دلالة اللفظ على لازمه

المبحث الثالث: دلالة اللفظ على الجزاء

الفصل الثاني : بناء الجملة في آيات الجزاء

الفصل الأول: آيات دلالة أسماء الله الحسنى على الجزاء

المبحث الأول: الكناية عن المجازاة

مع كثرة ورود أسماء الله الحسنى المفيدة للعلم على الجزاء في القرآن حتى لتبلغ – حسب ما تمت دراسته – في هذا البحث حوالي – مائة وبضع وستين مرة – إلا أن ما صُرح فيها باسم الكناية عن المجازاة في كتب التفسير حوالي بضع وثلاثين مرة .

و أكثر من ذكر الكناية عن المجازاة بهذا اللفظ هو الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، وسبقته إشارات نادرة من بعض المفسرين مثل إشارة الرازي في آية ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ آل عمران ٩٢، إلى كناية العلم عن الجزاء " فجعل كونه عالما بذلك الإنفاق كناية عن إعطاء الثواب و التعريض في مثل هذا الموضع يكون أبلغ من التصريح "[1] وهو يشير إلى دلالة العلم على لازمه وهو الجزاء، وإشارة أبي حيان في تفسير آية البقرة ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ ٩٥ إليها حين قال "فكنى بالعلم عن الجزاء "[2]، ومثله الألوسي حين قال" والمراد بالعلم إما ظاهر معناه أو أنه كنى به عن المجازاة "[3] .

أما الطاهر بن عاشور فذكر الكناية عن المجازاة حوالي ثلاثين مرة، وذكر ضمنها دلالة ارتباط العلم والخبرة ونحوها بالمجازاة بضع مرات[4] و ذكر لفظ التعريض قريبا من ذلك العدد[1]. ومما يلحظ تشابه

---

[1] الرازي ج ٨ ص ١٣٥

[2] أبو حيان ج ١ ص ٤٨٠

[3] الألوسي ج ١ ص ٣٢٩ ، و انظر آية البقرة ٢١٥ ج ٢ ص ١٠٦ ، الأنفال ٣٩ ج ٩ ص ٢٠٧

[4] البقرة، ٩٦ ،١١٠ ، ٢١٥ ، ٢٨٣ ، العاديات ١١ ، النور ٢٨ ، يونس ٤٦ ، هود ٩٢

دلالة الكناية والتعريض عنده في اغلب المواضع التي ذكرها بل إنه كان يطلق الكناية والتعريض على الاستعمال ذاته . ومما يؤكد ذلك ذكره للاسمين متجاورين في تفسير آية النور ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾٢٨، حين قال "و هذا تعريض بالوعيد لأن في ذلك عصيانا لما أمر الله به فعلمه به كناية عن مجازاة فاعليه بما يستحقون "[٢] . وفي بعض المواطن التي اجتمع فيها التعريض مع الكناية كان يريد الكناية بطريق لزوم أحد طرفي المعنى للآخر، وبالتعريض الإشارة إلى ما يفهم من عرض الكلام، جاء هذا في تفسيره لفاصلة آية الإسراء ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ ١٧ حين قال " وهو تعريض بأنه مجازيهم بذنوبهم بما يناسب فظاعتها، ولذلك جاء بفعل كفى وبوصفي (خبيرا بصيرا) المكني بذكرهما عن عدم إفلات شيء من ذنوبهم المرئية والمعلومة من ضمائرهم ...و في خطاب النبي بذلك تعريض بالوعيد لسامعيه من الكفار"[٣] فالكناية عن المجازاة جاءت من لزومها لوصفي الخبير البصير لأنها من لوازمهما، والتعريض بكفار قريش خاصة جاء من توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، فهي مع كونها تفيد مجازاة الكل بما عمل إلا أنها تعرض بكفار قريش.

و ورد لفظ التعريض فقط عند الطاهر مرادا به الكناية في عدة مواضع، منها ما ذكره في معنى اسم الله العليم في آية الأنعام ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ ١١٥، حين قال

---

[١] الأنعام ١١٥ ، النور ٢٨ ، الدخان ٦ ، النساء ٣٩ ، الإسراء ١٧ ، العاديات ٧ ، هود ٩٢ ،

[٢] الطاهر ج ١٨ ص ٢٠١ ، و انظر آية يونس ٤٦ ج ١١ ص ١٨٦

[٣] الطاهر ج ١٥ ص ٥٧ ، و انظر آية الفرقان ٥٨ ١٩ ص ٦٠ ، فاطر ٨ الطاهر ج ٢٢ ص ٢٦٧

" وهذا تعريض بالوعيد لمن يسعى لتبديل كلماته "[1] . والطاهر بن عاشور _كما سبق _ أكثر من ذكر الكناية عن المجازاة التي وردت مع اسم الله تعالى العليم، والخبير، والبصير، والشهيد، والمحيط حال كونه دالاً على العليم ،و أكثر ما وردت مع اسم الله العليم. ويصرح الطاهر بذكر الكناية وبأصل ابتنائها على العلم في تعقيبه على فاصلة آية ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ البقرة ٢٧٣، بقوله " كناية عن الجزاء عليه، لأن العلم يكنى به عن أثره كثيرا "[2]، ويشرح هذا الابتناء في تفسيره لفاصلة آية ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ البقرة ١١٠، حين يقول " والبصير العليم كما تقدم وهو كناية عن عدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء، لأن العليم القدير إذا علم شيئا فهو يرتب عليه ما يناسبه إذ لا يذهله جهل ولا يعوزه عجز، وفي هذا وعد لهم يتضمن وعيدا لغيرهم، لأنه إذا كان بصيرا بما يعمل المسلمون كان بصيرا بما يعمل غيرهم "[3]، فبناء الكناية يكون على ذكر اللفظ وإرادة لازمه الذي صرح به في التعقيب على فاصلة آية ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ فصلت ٣٦، بقوله "و هو هنا حكم كنائي، لأن المقصود لازم وصف السميع العليم، وهو مؤاخذة من تصدر منه أقوال وأعمال في أذى النبي صلى الله

[1] الطاهر ج ٨ ص ٢٢ و انظر آية الدخان ٦ ج ٢٥ ص ٢٨٣ ، النساء ٣٩ ج ٥ ص ٥٥ ، هود ٩٢ ج ١٢ ص ١٥٢ ، العاديات ٧ ج ٣٠ ص ٥٠٥

[2] الطاهر ج ٣ ص ٧٧

[3] الطاهر،ج ١ ص ٦٧٢

عليه وسلم والكيد له "[1]، وفاصلة آية ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾ الأنفال ٣٩، حين قال " فلما أخبروا بأن الله مطلع على انتهائهم عن الكفر إن انتهوا عنه، وكان ذلك لا يُظن خلافه عُلم أن المقصود لازم ذلك ".[2]

ومن أمثلة الكناية عن العقاب تعقيبه على فاصلة آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾الحجرات ١، بقوله " كناية عن التحذير من المخالفة "[3]، ويقابله الكناية عن الثواب في تعقيبه على فاصلة آية الحجرات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ ١٣، بقوله إنها " كناية عن الأمر بتزكية نواياهم في معاملاتهم وما يريدون من التقوى بأن الله يعلم ما في نفوسهم ويحاسبهم عليه" [4].

و دلالة الاسم من أسماء الله الحسنى على الكناية عن الجزاء هو المقصود في بيان المنهج الرباني في تربية الإنسان، ولكن السياق الذي يأتي فيه الاسم قد يمحض دلالته في الجزاء للوعيد، أو للوعد، وقد تجمع دلالته طرفي الجزاء وعدا ووعيدا، فمما دل فيه السياق على الكناية عن العقاب قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣ ﴾البقرة ٢٨٣، حيث ذكر الطاهر في معناه

---

[1] الطاهر ج ٢٤ ص ٢٩٧

[2] الطاهر ج ٩ ص ٣٤٧

[3] الطاهر ج ٢٦ ص ٢١٩ ، و انظر تفسير المجادلة ١٣

[4] الطاهر ج ٢٦ ص ٢٦٣

أنه " تهديد، كناية عن المجازاة بمثل الصنيع لأن القادر لا يحول بينه وبين المؤاخذة إلا الجهل، فإذا كان عليما أقام قسطاس الجزاء "[1]، ولعل ذلك لما في الآية من النهي عن كتمان الشهادة، وقريب منه ما جاء في تعليقه على قوله تعالى ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾الجمعة ٧، بقوله " فكُني بعلم الله بأحوالهم عن عدم انفلاتهم من الجزاء عليها ففي هذا وعيد لهم "[2]، فالآية تتحدث عن المنافقين فهي تهديد لهم، ومثله ما جاء في تفسيره لفاصلة آية ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾الأنفال ٤٧، حين ذكر أن " قوله ﴿ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ تذكير للمسلمين بصريحه ووعيد للمشركين بالمعنى الكنائي، لأن إحاطة العلم بما يعلمون مجاز في عدم خفاء شيء من عملهم عن علم الله تعالى، ويلزمه انه مجازيهم عن عملهم بما يجازي به العليم القدير من اعتدى على حرمه "[3] . ومما جاءت فيه الكناية عن الوعد قوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ التغابن ١١، حيث ذكر الطاهر أن الفاصلة " كناية عن مجازاة الصابرين بالثواب، لأن فائدة علم الله التي تهم الناس هو التخلق ورجاء الثواب وحسن الدرجات"[4]. وذكر الطاهر الكناية عن الجزاء دالةً على كلا الوعد والوعيد في تفسيره لاسم الله الخبير في قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ العاديات ١١، حين قال " والخبير مكني به عن المجازي بالعقاب والثواب بقرينة تقييده بيومئذ، لأن علم الله بهم حاصل من وقت الحياة، وأما الذي يحصل من علمه بهم يوم بعثرة القبور فهو العلم الذي يترتب عليه الجزاء"[5]، وحين يطلق لفظ الجزاء دون تحديد كما في فاصلة قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

[1] الطاهر ج ٣ ص ١٢٨

[2] الطاهر ج ٢٨ ص ٢١٨

[3] الطاهر ج ١٠ ص ٣٤

[4] الطاهر ج ٢٨ ص ٢٨٠ ، و انظر آية سبأ ١١ ج ٢٢ ص ١٥٧

[5] الطاهر ج ٣٠ ص ٥٠٧

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ فاطر ٣٨، كونها " كناية عن الجزاء "[١] ، فإنه يريد الوعد والوعيد .

المبحث الثاني : ارتباط العلم بالجزاء

سبقت الإشارة في المبحث السابق إلى جمع الطاهر مع التصريح بالكناية وبيان أصل ابتنائها وهو ذكر الأسماء الدالة على العلم وإرادة لازمها، ووردت هذه الإشارة لديه بضع عشرة مرة[٢]. ومثله في هذا الجمع الرازي في آية آل عمران ﴿ وَمَا تُنْفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ ٩٢ [٣]، وأبو حيان[٤]، مما يجعل القياس عليه ممكناً، فإذا ما توافق عدد من المفسرين في الربط بين العلم والجزاء، دون ذكر الكناية [٥] في نفس الآية التي ذكر فيها الرازي لفظ الكناية أمكن إدخالها ضمنها. ومن الممكن إدخال قول الطاهر في فاصلة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ٩٥، إنها " خبر مستعمل في التهديد، لأن القدير إذا علم بظلم الظالم لم يتأخر عن معاقبته "[٦]، دون التصريح بالكناية ضمن أمثلتها لتصريح أبي حيان فيها بلفظ الكناية . وصرح الطاهر بلفظ اللازم دون الكناية في تفسيره لآية ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ آل عمران ١٨٠، حين قال " فالآية موعظة ووعيد ووعد، لأن المقصود لازم قوله (خبير) "[٧] . وممن أشار إلى الارتباط بين

---

[١] الطاهر ج ٢٢ ص ٣٢٢

[٢] البقرة ١١٠، ٢١٥، ٢٧٣، ٢٨٣، فصلت ٣٦، الجمعة ٧، التغابن ١١، الأنفال ٣٩، العاديات ١١، الفرقان ٥٨، ٤٧، هود ٩٢

[٣] انظر الرازي ج ٨ ص ١٣٥ ، و انظر ص ٢ من هذا البحث

[٤] انظر أبو حيان ج ١ ص ٤٨٠ آية البقرة ٩٥ ، و انظر ص ٢ من هذا البحث

[٥] انظر القرطبي ج ٤ ص ١٣٤ ، أبو السعود ج٢ ص ٥٨ ، الشوكاني ج ٣ ص ٢٣١ ، الألوسي ج ٣ ص ٢٢٣

[٦] الطاهر ج ١ ص ٦١٦ ، و انظر آية البقرة ٩٦ ج ١ ص ٦١٩

[٧] الطاهر ج ٤ ص ١٨٣ ، و انظر آية المنافقون ١١ ج ٢٨ ص ٢٥٦ ، المائدة ٧١ ج ٦ ص٢٧٩ ، البقرة ٢٢٤ ج ٢ ص ٣٧٩

الفاظ العلم ولازمها دون ذكر الكناية الرازي في تعقيبه على فاصلة آية الفرقان ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴾ ٥٨، حين قال " وذلك وعيد شديد كأنه قال إن اقدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة "[1]. واشار القرطبي إلى ارتباط العلم بالجزاء في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم ﴾ آل عمران ٩٢، حين قال " وإذا علم جازى عليه "[2].

و ممن ذكر ارتباط العلم بالجزاء دون ذكر الكناية البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ النساء ١٢٨، حين قال " (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه . أقام كونه عالما بأعمالهم مقام إثابته إياهم عليها، الذي هو في الحقيقة جواب الشرط، إقامة للسبب مقام المسبب "[3] ،فكانه اشار إلى علة الجزاء وهي تحقق العلم، ومنهم ابو حيان في تعقيبه على قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ آل عمران ٦٣، بقوله " والمعنى ما يترتب على علمه بالمفسدين من معاقبته لهم، فعبر عن العقاب بالعلم الذي ينشأ عنه عقابهم "[4]، وفي تفسيره لاسم الله الشهيد في فاصلة آية يونس﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ ٤٦، حين قال " ومعنى شهادة الله على ما يفعلون مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقبهم "[5]. وممن ربط العلم بالجزاء البقاعي في معنى الخبير في قوله تعالى﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الملك ١٤، حين قال عنه " وهو أعظم تهديد يكون،

[1] الرازي ج ٢٤ ص ١٠٣
[2] القرطبي ج ٤ ص ١٣٤
[3] البيضاوي ج ٣ ص ٣٦٦
[4] ابو حيان ج ٢ ص ٥٠٥
[5] ابو حيان ج ٥ ص ١٦٤

فإن من علم أن من يعصيه عالما به وهو قادر عليه لا يعصيه أبدا "[1]، وإلى مثل هذا الارتباط يشير الشوكاني في معنى العليم في قوله تعالى ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ الأحزاب ٥٤، إلى أن "في هذا وعيد شديد، لأن إحاطته بالمعلومات تستلزم المجازاة على خيرها وشرها "[2]، فهو يصرح بأن المجازاة من لوازم إحاطة علم الله تعالى بشأن عباده . وممن اشار إلى الارتباط بين العلم والجزاء أبو السعود حين عقب على قوله تعالى ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران ١١٥، بأن " علمه تعالى بأحوالهم يستدعي توفيه اجورهم لا محالة "[3]، ويذكر أبو السعود في تفسير آية العاديات ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ ١١، عبارة " أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به "[4]، واشار إلى قريب منه الألوسي في معنى البصير في فاصلة آية الحديد ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ٤، بقوله " المراد الإشارة إلى ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلومة "[5].

المبحث الثالث : ذكر الجزاء دون اسم الكناية أو ارتباط الاسم بلازم معناه

ورد في المبحث الأول الآيات التي صرح فيها المفسرون بلفظ الكناية عن الجزاء، وفي المبحث الثاني وردت الآيات التي ذكر المفسرون فيها ارتباط الاسم بلازمه مما يفيد الكناية دون ذكر اسمها، ووظلت اكثر آيات أسماء الله الحسنى دالة على الجزاء دون ذكر الكناية، فمن

---

[1] البقاعي ج ٢٠ ص ٢٤٤

[2] الشوكاني ج ٢٢ ص ١١٨٠، و انظر آية آل عمران ٢٠ ج ٣ ص ٢٠٩

[3] ابو السعود ج ٢ ص ٧٥

[4] ابو السعود ج ٩ ص ١٩٢ و انظر الألوسي ج٣٠ ص ٢٢٠

[5] الألوسي ج ٢٧ ص ١٦٨

مجموع آيات البحث التي تقارب مئة وبضع وستين مرة جاءت الإشارة للجزاء مئة وبضع عشرة مرة .

و أكثر من أشار إلى الجزاء دون ذكر الكناية ابن جرير، حتى أن اغلب ما ذكره المفسرون باسم الكناية أو الإشارة إلى ارتباط الاسم بلازمه كان ابن جرير يذكر الجزاء فيه، فلا يكاد يخلو موضع مما يدل على الجزاء من إشارته إليه، بل انفرد في بعض المواضع بذكر الجزاء ومن ذلك تفسيره لفاصلة آية ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَائِدَ ذَالِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ المائدة ٩٧، بقوله " ولتعلموا انه بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من اموركم واعمالكم وهو محصيها عليكم حتى يجازي المحسن منكم بإحسانه والمسيء منكم بإساءته "[1] وقد يشترك احيانا مع مفسر أو اثنين في القول بالجزاء دون بقية المفسرين، ومن ذلك توافقه مع ابن عطية الذي فسر اسم الله الشهيد في آية ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ النساء ٧٩، بأنه "توعد للكفرة وتهديد تقتضيه قوة الكلام لان المعنى شهيدا على من كذبه "[2]، وتوافقه فيه مع القرطبي في معنى الحفيظ في آية سبأ ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾٢١، حين يقول الثاني " اي انه عالم بكل شيء، وقيل يحفظ كل شيء على العبد حتى يجازيه عليه "[3]. ومما توافق فيه مع البقاعي ما ذكره في تفسير اسم الله الخبير في آية لقمان ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ

---

[1] ابن جرير ج ٤ ص ٧٢٥ ،وانظر آية النور ١٨ ج ٨ ص ٣٧٧ ، آية الأنعام ١٠١ ج ٥ ص ٩٦، و لقمان ٢٨ ج ٩ ص ١٣٥

[2] ابن عطية ج ٤ ص ١٨٥ و انظر ابن جرير ج ٤ ص ٣٠

[3] القرطبي ج ١٤ ص ٢٩٤ و انظر ابن جرير ج ٩ ص ٣٣٣ ، وانظر آية فصلت ٥٣ ج ١٥ ص ٣٧٥ .

ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾٢٩، قائلا " وعم الخطاب بيانا لما قبله ترغيبا وترهيبا "[1]. ومما توافق فيه مع الطاهر ما ذكره الأخير من الحكمة من تذييل آية التوبة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ١٥، بذكر العلم بأنه " لإفادة أن الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم "[2]. والتقى مع الشوكاني في تفسيره لاسم الله الخبير في قوله تعالى ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المجادلة ١٣، حين يقول " لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم "[3]. وقد يلتقى ابن جرير مع مفسرين اثنين فقط في القول بالمجازاة ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ النساء ٣٥، الذي توافق فيه مع البقاعي والرازي، حيث يقول الرازي " والمراد منه الوعيد للزوجين وللحكمين في سلوك ما يخالف طريق الحق "[4]. ومما التقى فيه ابن جرير مع ابن عطية وأبي السعود فاصلة آية ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ الأحزاب ٢، التي يقول فيها أبو السعود " كأنه قيل إن الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه، فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا "[5]. ويلتقي مع جمع من المفسرين في كثير من الآيات التي تبلغ المائة وتزيد .

---

[1] البقاعي ج ١٥ ص ٢٠١ و انظر ابن جرير ج ٩ ص ١٣٥ و انظر تفسير آية الأنعام ٧٣ ابن جرير ج ٥ ص ٢٤

[2] الطاهر ج ١٠ ص ١٣٧و انظر ابن جرير ج ٥ ص ٨٣٨ و انظر تفسير النور ٢١ ج ٨ ص ٣٧٩

[3] الشوكاني ج ٢٨ ص ١٤٦٩ و انظر ابن جرير ج ١٠ ص ٧٢٠

[4] الرازي ج ١٠ ص ٩٤ ، و انظر البقاعي ج ٥ ص ٢٧٤ و انظر ابن جرير ج ٣ ص ٨٢٢

[5] ابو السعود ج ٧ ص ٨٩ ، وانظر ابن عطية ج ١٣ ص ٤٥

و بالتأمل في سياق الآيات التي ذكر فيها الجزاء دون الكناية يلحظ تشابهها مع سياق الآيات التي صرح فيها الطاهر وبعض المفسرين بلفظ الكناية، والآيات التي ربطوا فيها العلم بلازمه، مما يجعل إدخال هذه الآيات ضمن آيات الكناية عن الجزاء ممكنا، حتى لو انفرد بعض المفسرين مثل ابن جرير أو غيره في بعض السياقات بالقول بالجزاء مادام السياق يشبه سياقات الكناية . فمن ذلك انفراد ابن عطية بذكر المجازاة في عدة مواضع منها فاصلة آية فاطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ٣١، بأنها " وعيد "[1]

ومن المواطن التي تشبه آيات البحث وانفرد بذكر الجزاء فيها بعض المفسرين ويمكن إدخالها في الكناية، ما ذكره البيضاوي في تفسير فاصلة قوله تعالى ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ النساء ١٣٤، من أن المعنى كون الله " عارفا بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده "[2]. ومن تلك المواطن ما انفرد به أبو حيان في تفسير فاصلة آية ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ النساء ١٧٠، بقوله " ﴿عليما﴾ بما يكون منكم من كفر وإيمان فيجازيكم عليه "[3]. ومما انفرد بالقول بالجزاء فيه أحد المفسرين آية التغابن ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ ٤، التي رأى البقاعي في ذكر علم الله وعيداً[4] وآية ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي ٱلأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾ فاطر ٤٤، التي قال فيها أبو السعود" أي مبالغا في العلم والقدرة و لذلك علم

---

[1] ابن عطية ج ١٣ ص ١٧٤ ، انظر آية الأنفال ٤٣ ج ٨ ص ٨٠ ، الشورى ٢٤ ج ١٤ ص ٢٢٠

[2] البيضاوي ج ٣ ص ٣٧٠ ، انظر آية لقمان ٢٣ ج ٧ ص ٤٢٦ .

[3] ابو حيان ج ٣ ص ٤١٦

[4] انظر إلبقاعي ج ٢٠ ص ١١١

بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها "[1]، وآية ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ العنكبوت ٥، التي قال فيها الألوسي "(العليم) بأحوالهم من الأعمال الظاهرة والعقائد والصفات الباطنة، والجملة تذييل لتحقيق حصول المرجو والمخوف وعدا ووعيدا "[2]. وانفرد الطاهر الذي اشتهر بذكر الكناية بذكر الجزاء دون اسم الكناية في عدة مواضع، ومن ذلك تعقيبه على آية ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت ٣٦، بقوله "واستعذ بالله من أن يزلك الشيطان، فإن الله لا يخفى عليه أمر أعدائك وهو يتولى جزاءهم "[3]

و بالتأمل في مجموع آيات هذا القسم، نستطيع أن نرى شبها بما ذكرت فيه الكناية، وعلاقة الاسم بلازمه في المعاني والأغراض يمكننا من القياس عليه وإدخالها ضمن آيات الكناية، بل قد نجد الفاصلة بذاتها تتكرر في آية قيل فيها بالكناية وأخرى لم يقل المفسرون فيها بها، ومن ذلك فاصلة آية التوبة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴾ ٤٧، التي تشبه فاصلة آية البقرة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴾ ٩٥، لكن المفسرين ذكروا اسم الكناية عن المجازاة فيها، ولم يذكروه في آية التوبة، واكتفوا بذكر المجازاة، يقول ابن عطية عن الفاصلة " توعد لهم ولمن كان من المؤمنين على هذه الصفة "[4]، ويذكر الألوسي لفظ الجزاء فيقول " ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴾ علما محيطا بظواهرهم وبواطنهم وأفعالهم الماضية والمستقبلة فيجازيهم على ذلك "[5].

---

[1] أبو السعود ج ٧ ص ١٥٧

[2] الألوسي ج ٢٠ ص ١٣٨

[3] الطاهر ج ٢٤ ص ٢٩٨ و انظر تفسير آية الدخان ٦ ج ٢٥ ص ٢٨٣ الحجرات ١ ج ٢٦ ص ٢١٩، الأحزاب ٥١ ج ٢٢ ص ٧٦

[4] ابن عطية ج ٨ ص ١٩٦ ، انظر ابو حيان ج ٥ ص ٥١، ابو السعود ج ٤ ص ٧١

[5] الألوسي ج ١٠ ص ١١٣

و بالتأمل في الموضوعات التي جاء فيها ذكر الكناية عن المجازاة، او ذكر اللفظ وإرادة لازمه من الجزاء نجدها تتناول جزاء فعل الصالحات، وجزاء فعل السيئات، كما وردت عقب ذكر الأوامر والنواهي، وعقب تسبيح الله سبحانه وتعالى والثناء عليه وتعظيم شانه، وجاء بعضها بصف دواخل المنافقين والكفار وغيرهم، وفي نفس الموضوعات جاءت الآيات التي ذكرت الجزاء دون الكناية، فمما جاء في جزاء فعل الطاعات ما جاء في تفسيرهم لقوله تعالى ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة ٢٧١، حيث يقول ابن جرير " فهو بجميعه محيط ولكله محصٍ على أهله حتى يوفيهم ثواب جميعه "[1]، ويقول ابن عطية عن الفاصلة " وعد ووعيد "[2]

و مما جاء فيه ذكر الجزاء عن فعل السيئات فاصلة آية الفتح ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ الفتح ١١، يقول ابن جرير " لم يزل الله بما يعملون من خير وشر خبيرا لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه سرها وعلانيتها، وهو محصيها عليهم حتى يجازيهم بها "[3]، ويعقب الطاهر على الفاصلة بقوله " تهديد ووعيد"[4]. ومما جاء فيه الجزاء عقب الأوامر والنواهي، ما جاء حول فاصلة آية ﴿فاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هود ١١٢، حيث قال ابن جرير "فإنه ذو علم بما تعملون، وهو لكم بالمرصاد "[5] ويقول البيضاوي " فهو مجازيكم عليه "[1]، ويقول ابو حيان

---

[1] ابن جرير ج ٢ ص٨٨٣ ، و انظر البيضاوي ج ٢ ص ٦٠٢ ابو السعود ج ١ ص ٢٦٤

[2] ابن عطية ج ٢ ص ٣٣٥ و انظر القرطبي ج ٣ ص ٣٣٦ ، البقاعي ج ٤ ص ١٠٠

[3] ابن جرير ج ١٠ ص ٢٢٣ ، و انظر الألوسي ج ٢٦ ص ٩٩

[4] الطاهر ج ٢٦ ص ١٦٤

[5] ابن جرير ج ٦ ص ٤٧٨

" بصير مطلع على أعمالهم يراها ويجازي عليها "[٢]، ويقول أبو السعود "فيجازيكم على ذلك " [٣]، ويذكر الشوكاني أن المراد " يجازيكم على حسب ما تستحقون "[٤]، ويشير الطاهر إلى أن جملة الفاصلة " استئناف لتحذير من أخفى الطغيان بأن الله مطلع على كل عمل يعمله المسلمون"[٥] وذهبوا في فاصلة آية ﴿ فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ التغابن ٨، إلى ما ذكره ابن جرير من أن المعنى " ذو خبرة محيطا بها محصٍ جميعها لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها "[٦]، والبيضاوي من أن المراد " فمجازٍ عليه "[٧]، ويشير أبو حيان إلى ما في اسم الخبير " من معنى الوعيد والجزاء "[٨]، والبقاعي إلى دلالة الاسم على الترغيب والترهيب[٩]، ويعقب أبو السعود على الاسم بقوله "فمجاز لكم عليه "[١٠]، ويشير الطاهر إلى أن جملة الفاصلة تقتضي " وعداً إن آمنوا ووعيدا إن لم يؤمنوا "[١١].

و من الموضوعات التي شابهت فيها آيات الجزاء آيات الكناية عن الجزاء، ما جاء في تعظيم شأن الله تعالى، ومن ذلك ما ذكره المفسرون في فاصلة آية ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل ٨٨، إذ يقول ابن جرير " إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له

---

[١] البيضاوي ج ٥ ص ٢٤٥
[٢] ابو حيان ج ٥ ص ٢٦٨
[٣] ابو السعود ج ٤ ص ٢٤٥ و انظر الألوسي ج ١٢ ص ١٥٣
[٤] الشوكاني ج ١٢ ص ٦٧٧
[٥] الطاهر ج ١٢ ص ١٧٧
[٦] ابن جرير ج ١٠ ص ٨٣١
[٧] البيضاوي ج ٩ ص ١٨٨
[٨] ابو حيان ج ٨ ص ٢٧٤
[٩] البقاعي ج ٢٠ ص ١١٧
[١٠] ابو السعود ج ٨ ص ٢٥٧ و انظر الشوكاني ج ٢٨ ص ١٤٩٧
[١١] الطاهر ج ٢٨ ص ٢٧٣

ومعصية، وهو مجازي جميعهم على جميع ذلك "[1]، والبيضاوي " عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها "[2] ويذهب أبو حيان إلى أنه " عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه، فيكافئهم على حسب ذلك "[3] ويقول ابن كثير " عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء "[4]، ويذكر أبو السعود أن الفاصلة تبين " أن علمه تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو إلى إظهارها، وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء، وترتيب أجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم "[5]، وقريب منه ما ذكره المفسرون في فاصلة آية ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ غافر ٢٠، يقول ابن جرير " البصير بما تفعلون من الأفعال محيط بكل ذلك محصيه عليكم ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء "[6] ويذكر البيضاوي أنها " وعيد لهم على ما يقولون ويفعلون "[7] وذكر البقاعي كون الفاصلة للترهيب والترغيب .[8]

و مما يمكن إدراجه ضمن الكناية عن الجزاء قياسا على ماسبق، ما يتصل بذكر سنن الله في الكون مثل قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ الفرقان ٢٠، يقول ابن عطية " ثم أعرب قوله (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) عن الوعد للصابرين

---

[1] ابن جرير ج ٨ ص ٧٢٥

[2] البيضاوي ج ٧ ص ٢٧٢

[3] أبو حيان ج ٧ ص ٩٥

[4] ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٤

[5] أبو السعود ج ٦ ص ٣٠٥ و انظر الألوسي ج ٢٠ ص ٣٦

[6] ابن جرير ج ٩ ص ٧٤٢

[7] البيضاوي ج ٨ ص ٢٥٢ و انظر أبو حيان ج ٧ ص٤٣٩ و أبو السعود ج ٧ ص ٢٧٢ و الألوسي ج ٢٤ ص ٦٠

[8] انظر البقاعي ج ١٧ ص ٣٤

و الوعيد للعاصين "[1]، ويقول الرازي " أي هو العالم بمن يصبر ومن لا يصبر، فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب "[2]، ويقول الشوكاني " ثم وعد الصابرين بقوله (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) أي بكل من يصبر ومن لا يصبر فيجازي كلا منهما بما يستحقه "[3]، في حين يرى ابو السعود أن الفاصلة " وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالأجر الجزيل لصبره الجميل "[4]. ومما جاء من ذكر سنن الله المقتضية للجزاء قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ فاطر ٤٥، التي ذهب أغلب المفسرين إلى أنها وعد ووعيد، وهو مايفهم من كلام ابن جرير[5]، ويشير إليه ابن عطية بقوله " توعد وفيه للمتقين وعد "[6]، والبيضاوي بقوله " فيجازيهم على أعمالهم "[7]، وابن كثير بقوله " فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية "[8]، في حين يرى أبو حيان أنها فقط " توعد للمكذبين أي فيجازيهم بأعمالهم "[9]، وقريب منه ما ذهب إليه الطاهر حين قال " والتقدير فإذا جاء أجلهم أخذهم بما كسبوا فإن الله كان بعباده بصيرا"[10].

---

[1] ابن عطية ج ١٢ ص ١٥ ، و انظر الألوسي ج ١٩ ص ٢٥٥

[2] الرازي ج ٢٤ ص ٦٦

[3] الشوكاني ج ١٩ ص ١٠٣٧ ، و انظر الطاهر ج ١٩ ص ٣٤٥

[4] ابو السعود ج ٦ ص ٢١٠

[5] انظر ابن جرير ج ٩ ص ٤٠١، البقاعي ج ١٦ ص ٨٠

[6] ابن عطية ج ١٣ ص ١٨٤

[7] البيضاوي ج ٧ ص ٥٩٩

[8] ابن كثير ج ٣ ص ٥٢٤ ، و انظر ابو السعود ج ٧ ص ١٥٧ ، الشوكاني ج ٢٢ ص ١٢١٦، الألوسي ج ٢٢ ص ٢٠٧

[9] ابو حيان ج ٧ ص ٣٠٦

[10] الطاهر ج ٢٢ ص ٣٤٠

و من المواطن التي ورد فيه ذكر الكناية عن المجازاة ما جاء في وصف دواخل المنافقين [1] ويشبهه مما جاء بذكر الجزاء دون ذكر الكناية الكناية عنه قوله تعالى ﴿ هَاأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران ١١٩، يقول ابن جرير " إن الله ذو علم بالذي في صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا وما ينطوون لهم عليه من الغل والغم ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء وبما في صدور جميع خلقه ... حتى يجازي جميعهم على ما قدم من خير وشر "[2]، ويقول ابن عطية " وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) وعيد يواجهون به "[3]، ويقول الألوسي " إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل إذا خلوتم فيجازي به "[4].

و بالتأمل في مجموع الآيات التي ذكرت الجزاء دون لفظ الكناية عن الجزاء نجد منها الآيات التي ذكرت أحكاما تخص الطلاق والإرث والمظاهرة ونحوها مما يمكن قياسه بالآيات التي جاءت فيها الكناية عن المجازاة عقب الأوامر والنواهي وإدخالها ضمنها، ومن ذلك فاصلة آية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة ٢٣٤، التي يقول ابن عطية إنها " وعيد يتضمن التحذير "[5]، ويسبق الرازي الفاصلة بقوله " ثم ختم الآية بالتهديد "[6]، و يردفها البيضاوي بقوله " فيجازيكم عليه " [7] ويذهب الألوسي إلى جواز أن يكون الخطاب للزوجات والأولياء وأن الاسم "

---

[1] البقرة ٩٥ الجمعة ٧
[2] ابن جرير ج ٣ ص ٤٠٠ ، و انظر ابن كثير ج ١ ص ٣٥١
[3] ابن عطية ج ٣ ص ٢١١
[4] الألوسي ج ٤ ص ٤٠
[5] ابن عطية ج ٢ ص ٢١٧ و انظر أبو حيان ج ٢ ص ٢٣٥
[6] الرازي ج ٦ ص ١٢٩
[7] البيضاوي ج ٢ ص ٥٥٣

تهديد للطائفتين ويحتمل أن يكون وعدا ووعيدا لهما "[1] ومن ذلك قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة ٣ يقول ابن جرير " والله بأعمالكم التي تعملونها أيها الناس ذو خبرة لا يخفى عليه شيء منها وهو مجازيكم عليها "[2] وقال أبو السعود " أي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها "[3]، ويقول الشوكاني " لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فهو مجازيكم عليها "[4].

و مما يمكن قياسه على ما سبق من آيات الكناية عن المجازاة على فعل الحسنات أو اقتراف السيئات تلك الآيات التي ذكرت الأمرين معا نحو قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ التغابن ٢، يقول ابن جرير " والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها "[5] ويعقب البيضاوي على الفاصلة بقوله " فيعاملكم بما يناسب أعمالكم "[6] ويجمع أبو حيان في الاسم " معنى الوعيد إذ هو تعالى المجازي على جميع ذلك بالثواب والعقاب "[7] والوعد أيضا، ويقول ابن كثير " هو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال، وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء "[8] ويعقب على الفاصلة أبو السعود بقوله " فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الإيمان والطاعة وإياكم

---

[1] الألوسي ج ٢ ص ١٥٠
[2] ابن جرير ج ١٠ ص ٧٠٥
[3] أبو السعود ج ٨ ص ٢١٧ و انظر الألوسي ج ٢٨ ص ١٣
[4] الشوكاني ج ٢٨ ص ١٤٦٥
[5] ابن جرير ج ١٠ ص ٨٢٩
[6] البيضاوي ج ٩ ص ١٨٦
[7] أبو حيان ج ٨ ص ٢٧٤
[8] ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٧

وما يرديكم من الكفر والعصيان "[1]، ويعقب الشوكاني بقوله " فهو مجازيكم بأعمالكم "[2].

الفصل الثاني

بناء الجملة في آيات الجزاء

يجد المتأمل في آيات الكناية عن الجزاء في الأسماء الدالة على العلم أنها جاءت جملاً مستقلة الأركان في فاصلة الآية وهذا يلائم كونها تعبيراً عن سنن ربانية في القرآن، وإلى مثله أشار الطاهر حين ذكر الحكمة من استقلال جمل الفاصلة القرآنية في آية الأنعام ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ١٠١، كونها تذييلا أن " التذييلات يقصد فيها أن تكون مستقلة الدلالة بنفسها، لأنها تشبه الأمثال في كونها كلاما جامعا لمعان كثيرة "[3]، وما ذكره في آية آل عمران ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ١٥ من " استقلال الجملة لتكون كالمثل "[4]

وبالنظر في أقوال المفسرين في دلالة كل اسم من الأسماء الدالة على المجازاة مثل العليم والبصير والخبير و الشهيد، نجدهم يفسرون كلاً منها بالآخر في كثير من السياقات، ويذكرون في سياقات اخرى الفرق بينها خاصة في سياقات يتجاور فيها اسمين من الأسماء الدالة على علم الله تعالى . والملحوظ أن دلالة الأسماء تتجه اتجاهين، دلالة في حالة الإفراد، ودلالة في حالة التجاور مع اسم آخر. فدلالة الاسم حال كونه مفردا يفيد في غالب المواضع سعة علم الله بأفعال الناس ونياتهم أي ظواهرهم وبواطنهم، فإذا اقترن باسم آخر تفيد دلالته أحد أجزاء العلم أ حيثياته، فحين يقترن اسم الله العليم بالسميع

---

[1] أبو السعود ج ٨ ص ٢٥٥.
[2] الشوكاني ج ٢٨ ص ١٤٩٦ و انظر الألوسي ج ٢٨ ص ١٢٠
[3] الطاهر ج٧ ص ٤١٢
[4] الطاهر ج ٣ ص ١٨٤

وكثيراً ما يقع يصبح العلم مرادا به الإطلاع على النيات والضمائر، والسمع على ظواهر الأقوال وبواطنها أي حديث النفس، فيصبح المراد من ذكر العليم بعد السميع في نحو (السميع العليم) تدرج من الخاص إلى العام . وحين يقترن اسم الله العليم بالخبير في نحو (العليم الخبير) تفيد دلالته العكس مما سبق وهو الانتقال من العام إلى الخاص، لأن في الخبرة معنى معرفة خبايا الأمور ودقائقها وما يتصل منها بالنيات، ولذلك ذكر بعض المفسرين في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان ٣٤ أن المراد " (عليم) أي شامل العلم للأمور كلها كلياتها وجزيئاتها ... (خبير) أي يعلم خبايا الأمور وخفايا الصدور كما يعلم ظواهرها "[١] . ويشتهر لفظ الخبرة بمعرفة دقائق الأمور وبواطنها، فإذا ما ذكر اسم الله الخبير دل على انكشاف بواطن النفوس والنيات لله تعالى، ومادام قد علم تعالى البواطن فمعرفته بالظواهر أولى، فإذا ما اقترنت باسم الله العليم يكاد يختص بعلم البواطن والنيات، وإذا ما اقترن بالبصير دل على علم الله بما هو وراء الأفعال المبصرة من النيات. ويدل اسم الله البصير على اطلاع الله تعال أفعال العباد " سواء ما ابصره الناس منها ام لم يبصروه "[٢]، ويدخل في معنى إبصار الأعمال الظاهرة ما وراءها من النيات [٣]، ويذكر الطاهر أن الحكمة من اختيار اسم الله البصير في آية هود ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾ ١١٢ لدلالته على العلم البين ودلالة صيغته على قوته [٤]، فإذا ما اقترن اسم الله البصير بالسميع نحو (السميع البصير) دل على علمه تعالى بما وراء المبصرات من الأحوال، فينتج عنه علمه بكل شيء وهو ما نقله بعبارة (قيل) الألوسي في آية الحج ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٧٥، حين قال " إن السمع والبصر كناية عن علمه تعالى بالأشياء كلها

---

[١] البقاعي ج ١٥ ص ٣٢١ و انظر الرازي ج ٢٥ ص ١٦٥ و الألوسي ج ٢١ ص ١١٣ و أبو السعود ج ٧ ص ٧٨

[٢] الطاهر ج ٦ ص ٢٧٩ و آية المائدة ٧١

[٣] انظر البقاعي ج ٨ ص ٣٤٥ و الأنفال ٧٢

[٤] انظر الطاهر ج ١٢ ص ١٧٧

بقرينة قوله سبحانه ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ "[1] . ويدل اسم الله الشهيد على الشهادة وقد يدل على الرؤية [2]، و يذكر الطاهر في آية يونس ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ ٤٦ أن " حقيقته: المخبر عن أمر فيه تصديق للمخبر و استعمل هنا في العالم علم تحقيق "[3] فكان في الشهادة زيادة انكشاف لحقيقة الأمر وتوثيق، ولذلك ذهب بعض المفسرين في آية يونس إلى إمكان دلالة المعنى على شهادة الله على الكفار يوم القيامة بإنطاق جوارحهم . والحفظ في اسم الله الحفيظ ذكره المفسرون كعادتهم بمرادفه مثل العليم والرقيب والمهيمن والشاهد، إلا أن في إشارة بعض المفسرين [4] إلى أن لفظ الحفظ يلزمه العلم والقدرة يشير إلى ملاءمة لفظ الحفظ المراد به الجزاء للسياق الذي تذكر فيه قدرة الله وسلطانه على محفوظه. ويفيد اسم الله المحيط عدم فوات ما يحيط به علماً أو إهلاكا، ويشير القرطبي إلى أن هذا الاسم " أكثر ما يجيء في معرض الوعيد " [5] ولعل ذلك لما في طرف المعنى الآخر من الإهلاك، فعلم الله المحيط علم متمكن محيط بأعمالهم ونياتهم وتتجلى رحمة الله تعالى ثم رفق نبيه حين يقول ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ هود ٩٢ من خلال إسناد اسم الله المحيط لاسم الله الرب المحسن. وتأتي دلالة اسم الله الرقيب ليفيد الحفظ والمشاهدة والعلم الناتج عن الرقبة [6]. وفي الرقابة شدة وتعلقها بأداة الاستعلاء يفيد التهديد [7] ولعل هذا لا يتعارض مع مجيء اسم الله

---

[1] الألوسي ج ١٧ ص ٢٠٧

[2] انظر الرازي ج ١٢ ص ١٣٦ و آية المائدة ١١٧

[3] الطاهر ج ١١ ص ١٨٦

[4] انظر البقاعي ج ٩ ص ٣١٣ و آية ٥٧ هود، الرازي ج ٢٥ ص ٢٥٤، الطاهر ج ٢٢ ص ١٨٥ ، آية ٢١ سبأ

[5] القرطبي ج ١٥ ص ٣٧٦ آية ٥٤ فصلت

[6] انظر ابن عطية ج ٤ ص ١٠ آية النساء ١

[7] انظر البقاعي ج ٥ ص١٧٦ آية النساء ١

الرقيب في أحد الموضعين اللذين ورد فيهما للجزاء في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعل في هذا تجل لعظمة الألوهية، وأن عبيده سبحانه ينبغي أن يكونوا على موضع حذر من أن يرى منهم سبحانه ما يخالف طاعته، خاصة أن موضع الخطاب في تحريم ما حرمه الله عليه[1].

و بالتأمل في فواصل آيات الجزاء موضع الدرس تبين أنها كلها جملا اسمية تدل على الثبات والدوام، وأن علم الله تعالى بليغ ومحيط " أزلا وأبدا "[2]، وأن غالب ما جاء المسند إليه فيها لفظ الجلالة وأشار المفسرون كثيرا إلى أن المراد من ذلك تربية المهابة، فمن ذلك ما ذكره أبو السعود في قوله ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ آل عمران ١٨٠، من أن " إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة "[3]، ومثله الألوسي[4]، بل إن إشارتهما إلى ذكرهما لهذه الحكمة قد تكرر مرارا [5] قد يُفهَم منه اطراد هذا الحكم في أغلب الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة .و يقول الطاهر معقبا على قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ التغابن ٨، " وفي ذكر اسم الجلالة إظهار في مقام الإضمار لتكون الجملة مستقلة جارية مجرى المثل والكلم الجوامع "[6]، وهو أمر يستقيم من جهة أخرى مع سياق الآيات الدالة على الجزاء الذي يحمل بين طرفيه الوعد أو الوعيد والجنة أو النار، والمهابة لا تتعارض مع كون الجزاء وعدا وثوابا، لأن في نفس المطيعين لله إجلالا ورهبة، ولخوف فوات هذا الثواب إن أحبط العمل محبط، لأن الثواب فضل محض ومنّة وليس واجبا على الله.

و جاء المسند إليه ضميرا بضع وعشرين مرة، ورد منها حوالي عشر مرات دون توكيد، وباقي المرات مؤكدة. وللضمير القدرة على

---

[1] آية الأحزاب ٥٢

[2] الألوسي ج ٧ ص ٢٤٣ آية الأنعام ١٠١

[3] أبو السعود ج ٢ ص ١٢٠و ١٢١

[4] انظر الألوسي ج ٤ ص ١٤٠

[5] انظر الألوسي ج ٤ ص ١٥ آية آل عمران ٩٨ ، أبو السعود ج ٣ ص ١٢ آية المائدة ٨

[6] الطاهر ج ٢٨ ص ٢٧٣

ربط جملة الجزاء بما سبقها من الحقائق وبمن أوجدها، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابو السعود في اية الأنعام﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾١٠١، من أن جملة الجزاء " استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء "[1]. وأغلب الآيات التي جاءت دون توكيد سبقتها قضايا إلهية كبرى، ومن هنا دل الضمير على ربط هذه القضايا بصاحب شأنها سبحانه . وجاء أغلب الضمائر للغائب سواء كانت منفصلة وهي الأغلب أو متصلة، وجاءت عدة مرات للمتكلم وهي في سياق الوعد في خطاب المؤمنين[2].

و جاء في المسند إليه أو ما في حكمه مثل (وكفى بربك، وكفى به) بلفظ الرب في عدة مواضع[3]، وهو ما يذكر مرة أخرى بتلك المزاوجة بين الفخامة والعذوبة فالجزاء مما يربى في النفس إجلالا وتخويفا، فيأتي لفظ الرب المحسن ليبث الاطمئنان في قلوب عباده فلا يقع منهم قنوط ولا يأس .

أما تقدم الاسم الدال على الجزاء أو تأخره، فقد جاء غالبه متأخرا في فاصلة الآية، وتقدم فيها المسند إليه ومتعلقات الاسم الدال على العلم، وهو أمر يتصل أولا بطبيعة الجملة من كونها جملة مستقلة تبين حقيقة ربانية في الجزاء تجري مجرى المثل كما سبق أن ذكر[4]، كما يظل أثر آخر كلمة في الآية باقيا في ذهن المخاطب، وثانيا لأن موطن الجزاء ما يفعلون، ولذلك تقدم في أغلب السياقات . ويؤنس لذلكْ قول البقاعي في آية البقرة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾ ٢١٥ " فقدم الظرف إشارة إلى أن له غاية النظر إلى أعمالهم الحسنة "[5] . وجاء في أقل من ذلك الاسم متقدما على

---

[1] أبو السعود ج ٣ ص ١٦٩

[2] المؤمنون ٥١ ، سبأ ١١

[3] هود ٥٧ ،٩٢ ،الإسراء ١٧ ، الفرقان ٢٠، سبأ ٢١ ، فصلت ٥٣ ، الانشقاق ١٥ ، العاديات ١١

[4] انظر صفحة ١٤ من هذا البحث

[5] البقاعي ج ٣ ص ٢١٦

متعلقه، وذلك حين يقتضي السياق إبراز سعة علم الله تعالى وخبرته، ونحوها من معاني كمال العلم والإحاطة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ آل عمران ٦٣، التي دعا السياق فيها إلى ذكر علم الله بمن تولى من المفسدين، وذكر الاسم الظاهر ليدل " على العلة التي توجب العقاب وهو الإفساد "[1]، ومثله قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة ٩٥ وشبيهاته، ويقابله قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران ١١٥، بما يفيده من تعجيل البشارة للمتقين والمدح والثناء عليهم [2] . واقتضت طبيعة بعض المعاني تقدم الاسم على متعلقه مثل (عليم بذات الصدور) لأن المعنى المقصود سعة علم الله تعالى بما في بواطن هؤلاء، وما في نياتهم من أحوال على طريقة العرب من تقديم ما بيانه أهم في المعنى [3]

أما علاقة جملة الجزاء بما قبلها فقد وردت جوابا للشرط عدة مرات [4]، وصياغة الشرط تلائم الحقيقة الربانية في الجزاء بما يفيده من ترتيب وقوع الجواب حال وقوع الشرط، ودلالة الشرط على وقوع جوابه دلالة مؤكدة.

و جاءت معطوفة في مرات كثيرة على ما قبلها من معان، وارتبطت في مرات أخرى بواو الحال . على أن أدوات الربط هذه اختلف فيها المفسرون كما في آية البقرة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ٩٥ التي ذهب البقاعي فيها إلى أن الواو للعطف [5] والظاهر أنها للحال [6] ووردت مرة واحدة بحرف العطف ثم في آية يونس ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا

---

[1] ابو حيان ج ٢ ص ٥٠٦ و انظر البقاعي ج ٤ ص ٤٤٦ ، الألوسي ج٣ ص ١٩١

[2] انظر وانظر تفسير التوبه ٤٤

[3] انظر سيبويه : كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٤

[4] البقرة ٢١٥، ٢٢٧، ٢٧٣، آل عمران ٦٣، ٩٢، النساء١٢٧ ، ١٢٥،١٢٨، الأنفال ٣٩، الأحزاب ٥٤ ،فاطر ٤٥

[5] انظر البقاعي ج ٢ ص ٦١

[6] انظر الطاهر ج ١ ص ٦١٦

يَفْعَلُونَ ﴾ ٤٦، التي أشار المفسرون إلى عدة معان لها فذهب ابن عطية إلى انها " لترتيب الأخبار لا لترتيب القصص في انفسها "[١]، ورأى البقاعي احتمال كونها للتراخي الزمني [٢]، في حين ذهب هو في أحد القولين، والبيضاوي والشوكاني والألوسي والطاهر إلى انها للتراخي الرتبي مقصودا به تراخي رتبة العقاب الذي هو مقتضى الشهادة عما ذكر من رجوعهم إلى الله تعالى [٣] .

أما التوكيد فقد جاءت أغلب جمل الجزاء مؤكدة بإن، فمن مجموع الآيات التي تصل إلى مائه بضع وستين آية جاء منها حوالي بضع وستون مرة مؤكدة، ثم تختلف دلالة التوكيد من سياق لآخر، فقد يكون للاستئناف البياني كما في آية الأعراف ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٢٠٠، لأن جملة الجزاء جاءت علة للأمر بالاستعاذة [٤]، وقريب منه فاصلة آية هود ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ١١١، التي قال عن فاصلتها الطاهر " استئناف وتعليل للتوفية " [٥] و قد يأتي التوكيد بإن، لأن الجملة نتيجة لما قبلها نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ فاطر ٣٨، يقول البيضاوي " (إنه عليم بذات الصدور) تعليل له لأنه إذا علم مضمرات الصدور، وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها "[٦]، وقد يفيد التوكيد مجرد الاهتمام في بعض السياقات كما ذكر الطاهر في مرات عديدة [٧]، وغالب هذا الاستعمال حين يكون

---

[١] ابن عطية ج ٩ ص ٥١

[٢] انظر البقاعي ج ٩ ص ١٣٢

[٣] انظر البقاعي ج ٩ ص ١٣٢ ، البيضاوي ج ٥ ص ٥٨ ، الشوكاني ص ٦٢٧ ، الألوسي ج ١١ ص ١٢٩ ، الطاهر ج ١١ ص ١٨٦

[٤] انظر الشوكاني ج ٩ ص ٥٢١ ، الطاهر ج ٩ ص ٢٣١

[٥] الطاهر ج ١٢ ص ١٧٥

[٦] البيضاوي ج ٧ ص ٥٩٤ ، انظر البقاعي ج ١٦ ص ٦٤ ، أبو السعود ج ٧ ص ١٥٥ ، الطاهر ج ٢٢ ص ٣٢٢ و انظر تفسير الملك ١٣ و الزمر ٧

[٧] انظر على سبيل المثال ج ٢٢ ص ٢٦٧ آية فاطر ، ج ٢٨ ص ٢٨ آية المجادلة ٧

المخاطبون غير منكرين لقدرة الله على الجزاء. فإذا ما أريد شدة التوكيد جيء مع حرف التوكيد بضمير الفصل المفيد للاختصاص تثبيتا لقلوب المؤمنين نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت ٣٦[1]، أو تهديدا لقلوب العاصين كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ غافر ٥٦[2]

الخاتمة

تبين من دراسة الآيات التي يقع في فاصلتها اسم من أسماء الله الحسنى الدالة على العلم والخبرة والشهادة أنها في كثير من مواضعها يراد بها الجزاء، لأن مقتضى العلم بما يفعله الخلق من خير وشر المجازاة عليه، وهي طريقة ربانية سامية في تربية الفرد تنشيء لديه رقابة ذاتية حين يدرك اطلاع ربه ومحاسبه على نيته وعمله . كما تبين على كثرة ما أشار المفسرون إلى دلالة هذه الأسماء على الجزاء، إلا أن قليلا منهم ذكر كونها نوعا بلاغيا هو الكناية عن المجازاة، و أشاروا في بعض المواضع إلى ارتباط علم الله سبحانه وتعالى بالجزاء ارتباط الملزوم باللازم ، مما أمكن القياس عليه و إدخال الآيات الدالة على علاقة العلم بالجزاء في الكناية عن الجزاء، وقيس عليه أيضا السياقات التي تشبه آيات الكناية في المعنى والغرض وذكر المفسرون فيها الجزاء دون الكناية فدخلت ضمن آيات البحث، وترك ما كان ذكر العلم فيها تسبيحاً وثناءا على الله تعالى . وبالتأمل في الأسماء الدالة على الجزاء تبين أن للاسم دلالة حين يأتي مفردا، وهي الإحاطة بكل الأحوال الظاهرة والباطنة لشؤون الخلق، في حين يتميز الاسم بجهة من جهات المعنى إذا جاوره اسم آخر من الأسماء الدالة على العلم . وصيغت جمل الجزاء صياغات بلاغية لما يقتضيها سياق كل آية،

[1] و مثلها آية الأنفال ٦١ و الإسراء ١ و غافر ٥٦

[2] و مثله آية المائدة ٧٦ ، غافر ٢٠

ومن الملحوظ أن هذه الجمل جاءت اسمية للدلالة على ثبات ودوام حقيقتها، وجاء المسند إليه في اغلبها لفظ الجلالة لتربية المهابة، وجاء اغلبها مؤكدا بإن ، وهو ما يقتضيه تحقيق وقوع هذه السنة الربانية من ان علم الله تعالى يكفي في تحقيق جزائه وهو ما يربي في النفس الإنسانية ثقة في عدالة القضية، ورقابة ذاتية لما تفعل، وأقول النفس الإنسانية لأن في الآيات ما كان يتحدث عن الكفار وأهل الكتاب الذين يعلمون علم اليقين أن الله يعلم ما يفعلون، ولكن المكابرة والجدل تحملهم على ما هم عليه . ويتجلى في إفادة الجملة الواحدة للوعد والوعيد ما ذكره الخطابي من كون أسلوب القرآن يجمع بين الفخامة والعذوبة وكيف تحقق الفاصلة نفسها اطمئنانا وأمنا في قلب المطيع و ترهيبا وخوفا في قلب العاصي . وهذه الطريقة الربانية في التربية للنفس البشرية من الممكن الاستفادة منها في التربية، وفي التعامل مع الآخرين مسلمين كانوا أو غير ذلك بعيدا عن العنف والتهديد، لأن إدراك الإنسان لعلم محاسبه بما يفعل كاف في إتيانه بما تكون عاقبته عليه خيرا، وانصرافه عما تسوؤه عاقبته، كما أن هذا الإدراك يمنحه الثقة في عدالة المحاسب فينعم هو بالأمن والاستقرار ويبتعد عن المخادعة والمراوغة في تبرير أخطائه ..

المصادر

١- إرشاد الجمل،السليم إلى مزايا القران الكريم، محمد بن محمد أبو السعود ت ٩٥١ هـــــ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٤١١ هـــــ ١٩٩٠ م .

٢- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق عادل عبد الموجود الشيخ علي معوض، شارك في تحقيقه د. زكريا النوتي، د. أحمد الجمل، دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣ هـــــ ١٩٩٣ م .

٣- بُغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم االطبري، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية بيروت .

٤- بيان إعجاز القران ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق د. محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام دار المعارف الطبعة الرابعة .
ت ١٢٥٠ هـــــ، دار المعرفة بيروت – لبنان الطبعة الخامسة ١٤٢٩ هـــــ ٢٠٠٨ م.

٥- التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.

٦- تفسير البيضاوي العظيم، أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد ت ٦٩١ هـــــ ضمن حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ت ١٠٦٩ هـــــ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٧ هـــــ ١٩٩٧ م .

٧- تفسير التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس.

٨- تفسير القران العظيم، الإمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا – بيروت ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .
٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ٤٢٢هـ-٣١٠ هـ، دار الحديث – القاهرة ١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م.
١٠- الجامع لأحكام القران، ابو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ هـ، صححه أحمد عبد العليم البردوني دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م .
١١- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمد الألوسي ت ١٢٧٠ هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .
١٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني
١٣- كتاب سيبويه لأبي عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ت ١٩٨٣م
١٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ألقاضي أبوالكريم،د الحق بن غالب بن عطية ت ٥٤٦ هـ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .
١٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن البقاعي ت ٨٨٥ هـ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .